تاريخ الإرسال: 2011/01/27 - تاريخ النشر: 2011/06/20

# التصورات الاجتماعية لظاهرة العذرية الأنثوية

## -دراسة نفسية اجتماعية-

أ/ إبتسام غانم

المقدمـــــــة:

كل مجتمع يحمل تاريخا وثقافة وقيما تحكم الفرد وتسيره، والتي تظهر خصوصا في ممارساته وسلوكياته التي تتجلى في مختلف التفاعلات الاجتماعية التي يتعرض لها. وباعتبار المجتمع الجزائري مجتمعا ذو ثقافة عربية إسلامية فإنه يتوفر على العديد من القيم المميزة والمتمايزة من حيث درجة الأهمية، ومن بين أهم القيم التي يسعى للحفاظ عليها «العذرية»، التي تسعى العائلات الجزائرية لتهيئة الفتاة لحمايتها منذ طفولتها لحين دخولها مؤسسة الزواج لاعتبارها بمثابة رأس مال رمزي واجتماعي تتم عن طريقها عملية إعادة إنتاج للأسر، مما يدل على أن العذرية ليست بمسألة شخصية فقط وإنما هي عبارة عن ظاهرة اجتماعية لها تأثيراتها على الفتاة وعائلتها والمجتمع، وتأسيسا لما ذكرت فلقد حاولت الدراسة الراهنة المتعلقة ب «التصورات الاجتماعية للعذرية الأنثوية» تشخيص الواقع الفعلي لهذه الظاهرة واستقصاء محتويات التفكير الاجتماعي من معارف وآراء ومعتقدات تحملها الطالبة حول مسألة العذرية، باعتبار هذا الموضوع يمسها بالدرجة الأولى، إضافة إلى الوعي والتثقيف الذي تستبطنه وتكون السباقة إليه.

## الخلفيـــة النظـــريـة:

إن مصطلح التصور الاجتماعي عرف منذ القديم، كما أنه أخذ في التوسع في معظم العلوم الإنسانية، حيث أصبح اليوم إحدى الموضوعات الكبرى التي توجه البحث في علم النفس الاجتماعي خاصة، تحدد التصورات الإجتماعية فيها كأشكال للفكر العملي، موجهة نحو الاتصال وفهم المحيط والتحكم به، أشكال تأتي من العمليات المعرفية العامة والعمليات الوظيفية المطبوعة اجتماعيا، إن هذه العمليات لها علاقة من جهة بمعالجة المثيرات الإجتماعية وبالتالي الوقائع الإجتماعية في تفاعلاتها، ومن جهة أخرى هي على علاقة بتأثيرات الانتماء الاجتماعي للفرد (قيم، نماذج وإيديولوجيات محمولة من/ إلى جماعته). (دورون، وبارو، 1997، ص948)

ولقد عرفه دوركايم Durkheim: «بأنه مجموعة من الظواهر تتميز عن باقي الظواهر في الطبيعة بسبب ميزاتها الخاصة، بدون شك فإن لها أسباب وهي بدورها أسباب، ويضيف أن إنتاج التصورات لا يكون بسبب بعض الأفكار التي تشغل انتباه الأفراد، ولكنها بقايا لحياتنا الماضية، إنها عادات مكتسبة، أحكام مسبقة، ميول تحركنا دون أن نعي، وبكلمة واحدة إنها كل ما شكل سماتنا الأخلاقية». (Durkheim, 1967, p.113) إذا ففكرة التصور الاجتماعي تعود إلى دوركايم، ولكن هذا الأخير لم يضع تعريفا دقيقا له، لذلك فيمكن اعتبار الفضل الكبير لموسكوفيسي Moscovici، الذي أعاد إحياء الأعمال والمجهودات الدوركايمية، وذلك سنة1961م، حيث عرف التصور الاجتماعي على أنه: « نظام من القيم ومن المبادئ والممارسات المرتبطة بأشياء معينة سواء مظاهر أو أبعاد خاصة بالوسط الاجتماعي، والتي تسمح باستقرار إطار الحياة الخاصة بالأفراد والجماعات، كما تشكل أيضا أداة لتوجيه إدراكنا وكذا بناء استجاباتنا». (Moscovici, 1961, pp.42-43). أما جودلي Jodelet فهي ترى أن: «التصور الاجتماعي شكل من المعرفة الإجتماعية المبنية والمقسمة من طرف المجتمع وتهدف إلى أشياء عملية، كما تعمل على إعادة بناء الواقع المشترك بين الجماعات الإجتماعية، وهي تعتبر معرفة ساذجة». (Jodelet, 1990, p.360)

إذا فمصطلح التصور الاجتماعي تطور كثيرا، كما تباينت فاعليته في مختلف الإسهامات والأعمال، ودليل ذلك العدد الهائل من البحوث والتوجهات النظرية التي تعطي دليلا قطعيا على أن التصورات الإجتماعية هي: «عالم في توسع وفي داخله تبنى سيرورات

من المعرفة ـ un univers en expansion à l'intérieur ـduquel se structurent des galaxies de savoir » (Bonardi et Roussiau, 1999, p.20)

أما عن محتوى التصور الاجتماعي فيرى موسكوفيسي أنه مهما تكن طبيعة العناصر المكونة لهذا التصور، فإنه يتم تحليلها وفقا لأبعاد ثلاثة تسمح لنا بتحديد محتوى التصورات. (Herzlich, 1972, p.311)

أ- المعلومة : وتتعلق بمجموع المعارف المكتسبة حول موضوع إجتماعي معين كما وكيفا، أكثر أو أقل نمطية، معلومات عادية أو أصلية.

بـ حقل التصور: وهو يعبر عن فكرة تنظيم المحتوى، كما يعبر عن ميزة ثراء هذا المحتوى.

جـ الاتجاه: وهو يعبر عن التوجه العام سواء الإيجابي أو السلبي حيال موضوع التصور.

أما عن بنية التصور الاجتماعي فهو ينتظم حول نواة مركزية تعتبر العنصر الأساسي والأكثر أهمية في التصور، كما أنه يحتوي على عناصر محيطية تنتظم بدورها حول النواة المركزية للتصور.

أـ النواة المركزية: le Noyau Central حسب أبريك فإنه يقول: « أن النواة المركزية هي العنصر الأساسي في التصور، ذلك أنها هي التي تحدد في الوقت نفسه المعنى (المدلول) والتنظيم الخاصين بالتصور، وكذلك تؤمن وظيفتين أساسيتين» .(Rouquette et Rateau, 1998, p.33)، يجب الإشارة إلى أن النظام المركزي للتصورات يتكون من عدد قليل من العناصر، وفي جميع الحالات المعروفة فإنه يحتوي على الأكثر ستة عناصر وعلى الأقل عنصرين. (Flament et Rouquette, 2003, p.23)

بـ النظام المحيطي: Le Système Périphérique حسب أبريك (1994): « إن العناصر المحيطية للتصور تنتظم حول النواة المركزية، وإنها على علاقة مباشرة مع هذه النواة، والأهم في محتوى التصور والجزء السهل البلوغ، كما أنها ملموسة وأكثر حيوية، وهي متدرجة ومتسلسلة، بمعنى أنها تستطيع أن تكون أكثر أو أقل اقترابا من النواة المركزية، قربا من النواة تلعب دورا مهما في جعل معنى ومدلول التصور ملموسا. أما بعدا

من النواة فهي توضح هذا المعنى والمدلول، لذلك فالعناصر المحيطية تلعب دورا رئيسيا في التصور إذ أنها تعمل بمثابة وسيط بين النواة المركزية والوضعية المادية أين يتم إعداد و/أو توظيف التصور». (Abric, 1994, p.26)

وفيما يخص الدراسة الراهنة فلقد بحثت في التصورات الإجتماعية للعذرية الأنثوية، باعتبار العذرية كظاهرة اجتماعية، وفي هذا السياق فلقد عرفتها المرنيسي: « بأنها مرتبطة بالفتاة العذراء التي تتمتع بغشاء بكارة يختم مهبلها الذي لم يمسه رجل من قبل، كما أنها ترى أن العذرية في مفهومها هي مسألة تخص الرجال، وتلعب فيها النساء دور الوسيطات الصامتات، وعلى شاكلة الشرف تعتبر العذرية مظهرا لهاجس ذكوري في المجتمعات التي يلعب فيها غياب العدالة وقلة الموارد والإخضاع المهيمن لفئة من قبل أخرى، على حرمان المجتمع المحلي ككل من القوة الإنسانية الحقيقية الوحيدة وهي الثقة بالنفس». (إيلكاركان، 2004، ص241)، أما الحفني (1992): « فيقصد بالعذرية العذرة وعلامتها في البنت العذراء غير المدخول بها، غشاء البكارة، هذا الأخير الذي يغشى فتحة الفرج الظاهرة، يكاد يسدها ويتخذ أشكالا، فقد يكون كالهلال أو كالحلقة أو كالغربال، فإذا تزوجت البنت أو وقع عليها اغتصاب أو أصابها أذى ينال عذريتها، فإن غشاء البكارة يتهتك أو يتمزق، وأحيانا برغم الدخول بها فإن الغشاء يبقى سليما حتى تلد فيتمزق وقت الولادة، كما أنه يبين أن العذرية ارتبط وجودها في أنثى الإنسان بالعفة وكذا بالشرف» (الحفني، 1992، ص428). أما الباحثة كوشار فلها تعريف ملم مفاده: « أن العذرية والمتمثلة في غشاء البكارة الذي يظهر عند الفتاة العذراء كفضاء متعدد الإنقطاعات ما بين الداخل (الجسدي) والخارج (الاجتماعي) منطقة تعتبر بمثابة واجهة ما بين التشريحي والاجتماعي حيث تضمن الفتاة فخرها وشرفها الشخصي الذي يضمن لها صورة إيجابية عن ذاتها وبالتالي مكانة داخلية، أما فيما يخص الرجل فإن هذه المكانة تصبح خارجية لأنها مرتبطة بالمجتمع ككل، وتظهر خاصة عند فض بكارة الفتاة في الزواج وبالتالي يضمن الرجل شرفه الاجتماعي». (Couchard, 2004, p.303)

إضافة إلى جملة التعريفات المتعلقة بمصطلح العذرية، هنالك العديد من المقاربات التي اهتمت بتفسير هذه الظاهرة، كل حسب وجهتها ومجال اهتمامها وذلك من أجل تأصيل مرجعية لفهمه، ويتبين أهمها في:

1ـ المقاربة النفسية: وأهمها المقاربة التي جاء بها فرويد والخاصة بالجنسانية الأنثوية وعلاقتها بطابو العذرية، ففريد قد توقف أمام طابو العذرية كما إصطلحه، حيث وضع شرحا له من جهة بواسطة قلق الخصاء الخاص بالرجل أمام جنس المرأة، ومن جهة أخرى في المجتمعات التي يجب أن تذهب فيها النساء إلى أزواجهن وهن عذراوات، ولذلك فالرجال يعملون على الحراسة خاصة الجنسية منها للمحافظة على العذرية الخاصة بنسائهن لضمان عذريتهن. (Benslama, 2002, p.228)

2ـ المقاربة الإجتماعية: هنالك مقاربة مهمة تدعى بالمقاربة الجندرية اهتمت بالإشارة إلى مفهومين أساسيين وهما التذكير والتأنيث (الجندر) والذي يقصد به "النوع الاجتماعي". فالمقاربة الجندرية تذهب بالجسم الأنثوي الخاص بالمرأة إلى هوية اجتماعية خاصة بها تتمثل في مختلف الأدوار والممارسات والتصرفات التي تتبناها الأنثى وبالتالي تميزها عن الذكر لأن عذرية الأنثى تدخل في سياق الهوية الإجتماعية للأنثى والتي تتباين حسب كل مجتمع. (بن سلامة وآخرون، 2005، ص13)، كذلك المقاربة الأبوية البطريركية التي شكلت منظومة من القيم والأعراف الإجتماعية والأخلاقية التي تعكس المباحات والمحرمات في المؤسسة الذكورية (الحيدري، 2003، ص274)، حيث ما كان لهذا النظام الأبوي أن يقوم أو يستمر إلا بفرض قيود وعمليات صارمة تقلل من طبيعة المرأة الجنسية حتى يمكنها الخضوع لزوجها الواحد. (السعداوي، 1982أ، ص73)، كما أن النساء في هذا النظام ينظر إليهن في بنية سوق السلع الرمزية، التي يكون شكلها المحوري هو سوق الزواج، فلا يمكن للنساء الظهور فيها إلا بوصفهن أشياء، أو بالأحرى بوصفهن رموزا يتأسس معناه خارجهن وتكون وظيفتها هي الإسهام في إدامة أو في زيادة رأس المال الرمزي والاجتماعي الذي يحوزه الرجل، فالعذرية تعد كمعيار صنمي للسمعة الذكورية، إنها حقيقة المكانة الممنوحة للنساء. (بورديو، 2001، ص46)

3ـ المقاربة الأنثربولوجية: إن الدراسات الأنثربولوجية التي تناولت عذرية الفتاة قبل الزواج ربطت علامة العذرية بجسد المرأة ككل، ذلك أن الجسد يحوي رمز العذرية. ففي دراسة لمالك شبل عن صور الجسد في التقاليد المغربية ميز بين الجسد العضوي التشريحي والجسد اللغة فحدد موضوع دراسته من خلال تعامله مع الجسد في امتداداته الرمزية، إذ يرى أن ما يهمنا ليس الجسد في تمظهره، وإنما على العكس من ذلك التمثيل الذي يختص به، أي ذلك التجريد للجسد كما يتبدى في التصورات التقليدية في المغرب

**العربي.** (الزاهي، 9199، ص28)

**كذلك لوبرتون** (2000)، **يرى أن الجسد والمعارف التي يمكن تبنيها في التقاليد الشعبية عديدة وهي غالبة ما تكون ضبابية إلى حد ما، فهي تركز على المهارات أو على آداب السلوك التي ترسم بشكل مجوف صورة ما للجسد، هذا الأخير يشبه حقل قوة في حالة رنين مع ما يقترب منه، إن الجسد في التقاليد الشعبية يكون على اتصال دائم بالعالم، إنه قطعة غير منفصلة عنه، وهذه المعرفة لم تختلف بشكل تام بالرغم من أنها اليوم مجزأة أكثر.** (لوبرتون، 2000، ص82)

**4.المقاربة الثقافية: إن النظرة الثقافية للعذرية تضع في طياتها الخلفيات الثقافية الخاصة والمتبناة من بلد إلى آخر وهذه الخلفيات هي فوق زمانية وفوق مكانية وتتضح في عدة جوانب منها الإجتماعية والدينية.** (الصواف والجبلي، 2001، ص82)

**مما توضح فيما سبق من أهمية وقيمة كبيرتين للعذرية، وبما أنها الوسيلة التي ترشح الفتاة لأن تكون زوجة ومن ثم أما مقبولة في مؤسسة الزواج خصوصا والمجتمع عموما، هذا ما أدى بالمجتمعات إلى ابتكار أساليب مادية رادعة لحماية العذرية والمحافظة عليها إلى حين دخول الفتاة في مؤسسة الزواج. ومن بين أهم الأساليب المادية والتي تعتبر كميكانيزمات أمان للعذرية:**

**1- حزام العفة: وهو عبارة عن مادة صلبة تغطي العضو التناسلي للمرأة، وبه فتحة صغيرة للتبول، وهذا الحزام المصنوع من الجلد أو من الحديد تلبسه المرأة، ويحيط بقبلها، وفيه قفل يتم إغلاقه ولا يمكن للمرأة أن تخلعه إلا بوجود المفتاح الخاص بالحزام. وعادة ما يكون المفتاح مع الرجل (الأب، الأخ، الزوج)، وقد يطول لبس الحزام لأشهر، ومن هنا فقد صنعت فتحتان صغيرتان للخارج من السبيلين، إضافة إلى عادات أخرى مهينة بالمرأة فكان الزوج إذا شك في زوجته كان يقوم بربطها من ضفائر شعرها على لوح من الخشب ويصوب البلطة عليها فإذا قطعت شعرها دون إيذائها فهذا يدل على براءتها وبالتالي لم تسلم منهن الكثيرات.**

**2- تشويه الأعضاء الجنسية الأنثوية (الختان): إن تشويه الأعضاء الجنسية الأنثوية اسم مركب لعدة ممارسات تقليدية مختلفة تشمل قص أجزاء من هذه الأعضاء، وبالرغم**

من أن كل المجتمعات تقريبا تخضع وتستعبد نساءها بطريقة أو بأخرى، إلا أن تشويه الأعضاء الجنسية الأنثوية يعتبر الإجراء الأقسى والأعنف الذي يمكن لأي مجتمع اتخاذه للسيطرة على نشاط المرأة الجنسي وطاقتها الإنجابية. (إيلكاركان، 2004، ص466)

3ـ التصفيح: إن التصفيح يعتبر نوعا من أنواع الطقوس التقليدية التي تمارس بهدف حماية عذرية الفتاة قبل دخولها في مؤسسة الزواج، وما هو ملاحظ فيما يخص هذا الطقس هو تباينه سواء من حيث التسمية أو من حيث أسلوب الممارسة من ثقافة إلى أخرى. (Ben Dridi, 2004, p.154)

4ـ جراحة العذرية: إن الاصطلاح الشائع لدى معظم الأطباء لوصف جراحة العذرية هو«الترميم» الذي يشمل دلالات ضمنية مختلفة. فالترميم يتألف أساسا من خياطة بقايا غشاء البكارة بعد الجماع، ويمكن لهذه الجراحات أن تجرى حتى بعد ممارسة الجنس بشكل متكرر، أو الاجهاض، أو الحمل، وبعد الخياطة يلتئم الجرح، وتصبح المرأة كالعذراء من جديد. (إيلكاركان، 2004، ص264)

## منهجيـــة الدراســـة:

إن منهجية الدراسة تتمثل في مجموع الخطوات والقواعد المنهجية المطبقة في الدراسة الراهنة عبر مختلف مراحلها، فما هي الإجراءات المنهجية التي طبقت في هذه الدراسة ؟وكيف تم توظيفها؟.

1ـ ضبط فرضيات الدراسة : لجأت إلى صياغة الفروض كإطار منهجي يساعدني على اختبار متغيرات الدراسة علاوة على أن الفروض تعتبر ترجمة دقيقة لكل من الإشكالية والأهداف، وعلى هذا قمت بصياغة فرضية أساسية وفرضيتين جزئيتين.

ـ الفرضية العامة : تكتسي العذرية بالنسبة للطالبة الجامعية أهمية إستعمالية واجتماعية.

ـ الفرضية الجزئية الأولى: " تحرص الطالبة الجامعية على عذريتها لما لها من قيمة إستعمالية".

ـ الفرضية الجزئية الثانية: " يحمل المجتمع مسؤولية فقدان العذرية للفتاة وحدها ".

2ـ مجالات الدراسة : إن مجالات الدراسة تعبر عن الحيز الإيكولوجي الإنساني الذي تجرى فيه دراسة ما وهو ذو أبعاد ثلاثة تتمثل في المجال المكاني والبشري والزمني.

أ.المجال المكاني: إن دراستي الميدانية أجريت في جامعة 20 أوت 1955 بسكيكدة، ونظرا لتعدد الكليات التي تتشكل منها هذه الجامعة فلقد خصت دراستي « كلية العلوم الإجتماعية والعلوم الإنسانية».

بـ.المجال البشري: دراستي الميدانية شملت طالبات السنة الرابعة اللواتي ينتمين إلى قسمي»علم الاجتماع والديمغرافيا»و»علم النفس والعلوم التربوية والأرطوفونيا»، والذي بلغ عددهن 160 طالبة سنة رابعة.

ج.المجال الزمني: أجريت هذه الدراسة خلال الموسم الجامعي 2007/2008م.

3ـ المنهج المستخدم: بما أن الدراسة الراهنة هدفت استقصاء تصورات الطالبة الجامعية للعذرية، لأجل ذلك اعتمدت على المنهج الوصفي الذي يخدم الموضوع.

4ـ الأدوات المستخدمة: بما أن الهدف من هذه الدراسة هو محاولة الوصول إلى معرفة مكونات وعناصر التصورات الاجتماعية الخاصة بمسألة العذرية وكيفية تنظيمها، لأجل ذلك اعتمدت على تقنيتين حديثتين تستخدمان لهذا الغرض وهما:

أ ـ طريقة ألسست La méthode Alceste قدمت هذه الطريقة من طرف ماكس رينرت(Max Reinert) وذلك سنة1999م، إن هذه الطريقة تعتبر مقاربة للمحتوى نحصل عليها عن طريق تحليل المحتوى الخطابي للمستجوبين (النصوص). (Abric, 2003, p.152)، وهي تعتمد على مرحلتين تهدف فيهما إلى وضع خريطة موقعية للخطاب أو ما يسمى ب «طوبوغرافيا الخطاب» la topographie du discours. ويصرح أبريك أن العديد من الدراسات في مجال علم النفس الاجتماعي التي تناولت التصورات الاجتماعية الخاصة بموضوع معين، اعتمدت في تحليل معطياتها الأولية (المادة الخام) على "طريقة ألسست"، وهو يعتبرها طريقة ثرية جدا لمقاربة محتوى التصور الاجتماعي وكيفية تنظيمه. (Abric, 2003, p.70) لذلك فلقد اعتمدت على هذه الطريقة في دراستي الميدانية، حيث قمت

بتحليل المادة الخام المتحصل عليها خلال المرحلة الأولى من تقنية «الاستقراء عن طريق السيناريو المبهم» والتي هي عبارة عن مجموعة من النصوص أنتجتها عينة من الطالبات وذلك بهدف الكشف عن محتوى تصوراتهن الاجتماعية للعذرية.

ب- تقنية الاستقراء عن طريق السيناريو المبهم L'induction Par Scénario Ambigu : قدمت هذه الطريقة من طرف Moliner سنة 1993، وهي تقنية تعتمد على الاستقصاء الكيفي وتستند على الفكرة التي مؤداها أن التصور الاجتماعي هو سيرورة نشيطة لبناء الواقع ولذلك فهي تقوم على البحث عن العناصر التي يحتاج إليها الفرد للتعرف على موضوع التصور وتمييزه عن المواضيع القريبة منه، اعتمادا على أربعة 4 مراحل متتالية(Abric, 2003, p.71)، إن الهدف من هذه التقنية (ISA) هو التعرف على العناصر المركزية للتصور بالاعتماد على درجة كبيرة من الاحتمالية.(Moscovici et buschini, 2003, p.385)

5-العينة وطريقة اختيارها: نظرا لطبيعة الموضوع، فلقد اعتمدت على معاينة غير احتمالية والمتمثلة في المعاينة النمطية وهي سحب عينة من مجتمع الدراسة بانتقاء عناصر مثالية من هذا المجتمع. (أنجرس، 2004، ص311) وبالتالي فاختياري للمعاينة النمطية لم يكن وليد الصدفة، حيث شملت دراستي الميدانية على قسمين فقط من كلية "العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية" وهما قسما "علم الاجتماع والديمغرافيا" و"علم النفس والعلوم التربوية والأرطوفونيا"، نظرا لتوفر طالبات السنة الرابعة بهما على خصائص مثالية ساعدتني في دراستي الميدانية سواء من حيث نوع المعلومات أو كميتها، وتمثلت هذه الخصائص في:

- الاعتقاد المنطقي أن طالبات هذين القسمين أكثر اهتماما بالمسائل الاجتماعية من غيرهن.

- سنهن ودرجة نضجهن الفكري وخبرتهن في الحياة الجامعية تؤهلهن لمعالجة هذه المسائل بموضوعية.

- تخصصهن يسمح لهن بمعالجة المواضيع والظواهر الاجتماعية، باعتبار العذرية هي ظاهرة اجتماعية لها تأثيراتها على الفرد والمجتمع.

- نظرا لاستعداداتهن التي تسمح لهن بتناول المواضيع المجردة والمواضيع الحساسة (طابو).

ـ عدم وجود مقاومة في تجاوبهن معي حيث كان تجاوبهن إيجابيا.

أما عن حجم العينة الذي اعتمدته في هذه الدراسة، فلقد بلغ ثلاثين 30 طالبة جامعية، حيث ركزت على الطالبات اللواتي أبدين استعدادا لاستكمال البحث معي إلى نهايته.

6ـ أسلوب معالجة البيانات: اعتمدت الدراسة في معالجة البيانات وتحليلها على الأسلوبين الكمي والكيفي.

أ-الأسلوب الكمي: قمت باستخدام التحليل الإحصائي للبيانات والذي استعنت فيه ببعض الطرق الإحصائية تمثلت في: النسب المئوية، متوسط النقاط Le score moyen و المتوسطات الحسابية.

ب- الأسلوب الكيفي: لقد تبنت الدراسة في تحليلها للنتائج مستوى التحليل النفسي- الاجتماعي.

## عـرض نتائــج الدراســة ومناقشتــها:

بعد أن تم توضيح الخطوات المنهجية المعتمدة في الدراسة انتقلت إلى خطوة أخرى وهي عملية عرض وتفسير النتائج للتعرف على مختلف التصورات الاجتماعية للعذرية عند الطالبة الجامعية.

1ـ مناقشة النتائج العامة للدراسة :

لقد توصلت الدراسة الراهنة إلى العديد من النتائج التي اتضحت من خلال ما سبق عرضه، وفيما يلي سأقوم بتحليل عام لما تحصلت عليه عند تطبيقي للأداتين المستخدمتين في هذه الدراسة.

1-1ـ نتائج طريقة ألسست «Alceste »:

بما أن الهدف من تطبيق «طريقة ألسست» هو التعرف على محتوى التصورات الاجتماعية التي تحملها الطالبة الجامعية حول العذرية، لهذا ارتأيت إلى تحليل النتائج المتوصل إليها عبر هذه الطريقة بالاعتماد على تحليل «موسكوفيسي»، حيث يرى أنه مهما تكن الطبيعة الدقيقة للعناصر المكونة للتصورات، فإن هذه الأخيرة يمكن

تحليلها وفقا للأبعاد الثلاثة التالية: المعلومة L'information، والاتجاه L'attitude وأخيرا حقل التصور Le champ de représentation، ولهذا فقد اعتمدت في تحليل نتائج هذه الدراسة على هذه الأبعاد الثلاثة.

أ- المعلومة: أشارت الشواهد الكمية والكيفية التي ظهرت من خلال إجابات الطالبات عن مسألة العذرية، تنوع المعلومات التي تحتويها تصوراتهن من معلومات طبية واجتماعية ودينية، ولكن ما وجب التنويه إليه هو أن معلومات الطالبات حول العذرية غلب عليها نوع من المعارف العامة المتنقلة عبر تراكم المعارف والخبرات التي يحتويها المضمون الثقافي للمجتمع الذي يعشن فيه، أكثر من المعلومات العلمية والنظرية، وهذا لدليل على عدم اعتمادهن على مصادر علمية مختصة، بل يعتمدن في إستيقاء معلوماتهن على التواصل الاجتماعي أو على مصادر لا تتسم بكفاءتها المطلقة، ما يمكن أن يحمل معلومات مضللة وغير دقيقة.

ب- حقل التصور: أشارت الشواهد الكمية والكيفية إلى أن حقل تصور العذرية تميز بثرائه ولكن طبعا من الجانب الاجتماعي أما الجوانب الأخرى من طبية ودينية فلوحظ ضعف ملموس في حقل تصورها، ولكن ما ميز حقل تصور العذرية هو توفر وحدة هرمية لعناصره تجعلها قابلة للتنظيم، وفيما يلي عرض لأهم ما احتواه هذا الحقل في تنظيمه الهرمي والذي انطلق من العناصر الموجودة بقوة إلى العناصر الضعيفة.

- فقدان العذرية: إن هذه التسمية لم توضع اعتباطيا بل لأن محتوياتها النمطية وأبعادها كانت تدل بصفة مباشرة عن هذه الحالة، وارتباطها الوثيق بالفتاة وتحميلها مسؤولية هذا الحدث، واحتوى هذا الصنف على نسبة (19%).

- التمسك بالتعاليم الدينية: إن الآثار المفرداتية النمطية لهذا الصنف تفرض المحافظة على العذرية لما لها من قيمة دينية، وذلك بممارسة سلوكيات وتصرفات كلها تهدف إلى حمايتها، ذلك أنها مرتبطة بالعفة وبالطهارة ومن ثم الأخلاق الجنسية الإسلامية، واحتوى هذا الصنف على نسبة (17%).

- الزواج: إن الآثار المفرداتية النمطية التي عكست هذا العنصر في علاقته مع العذرية كانت مرتبطة كثيرا بضرورة الحفاظ على العذرية كونها شرطا هاما

للزواج في المجتمع الجزائري كما أنها تعد من المؤشرات الهامة التي تساهم في توفير فرص الزواج للفتاة، واحتوى هذا الصنف على نسبة (15 %).

- الشرف: إن مفهوم الشرف يرتبط ارتباطا وثيقا بمسألة العذرية، إذ بملاحظة الشواهد الكيفية التي احتواها هذا الصنف نجدها متمحورة خصوصا حول القيمة التي يحققها الشرف سواء بالنسبة للفتاة أو بالنسبة لأهلها، وبالتالي ارتباطه الوثيق بالصنف المفرداتي الزواج وخصوصا ليلة الزفاف التي تعكس قيمة الشرف، واحتوى هذا الصنف على نسبة (13%).

- نظرة المجتمع: إن هذا الصنف المفرداتي ارتبط ارتباطا وثيقا بالصنف السابق ذكره والمتمثل في فقدان العذرية حيث يكون الحكم قاس على الفتاة فاقدتها، وتوصم بأبخس العبارات، كما تلحق بها أشد العقوبات، ويمثل نسبة (11%).

- الفتاة: تحصلت على آثار مفرداتية نمطية خاصة بهذا العنصر، إذ احتوى على علاقة الفتاة بمسألة العذرية ومدى أهمية هذه المسألة في حياتها. واحتوى هذا الصنف على نسبة (11%).

- تطور الطب: احتوى على رصيد نمطي دل في مجمله على مدى ارتباط العذرية (الجانب التشريحي) بالطب الحديث، إذ أصبح بالإمكان تجاوز حدث فقدان العذرية بإجراء عمليات الترميم ومن ثم إعادة تأهيل الفتاة لأن تكون مرشحة مؤهلة للزواج، واحتوى على نسبة (6 %).

- التثاقف: إن الآثار المفرداتية التي احتواها هذا الصنف هي دالة عن مختلف التأثيرات التي ألحقتها الثقافات الغربية في الثقافات المحافظة من مقاييس للجمال، آثار العولمة، وعبر عن هذا العنصر بنسبة (4%).

- الحالة النفسية: البعد النفسي الذي يعكسه حدث الحفاظ على العذرية أو فقدانها، وتمثل نسبة (3%).

ج- الاتجاه: يأتلف في تكوين الاتجاه ثلاثة عناصر تساهم في إبراز اتجاه الطالبات حول مسألة العذرية وهي تعد بمثابة مكونات يتشكل منها ألا وهي:

ـ المكون المعرفي: أبرزت الدراسة الراهنة أن مجموع الخصائص والمفاهيم والحوادث المتعلقة بمسألة العذرية هي مكونات معرفية ضئيلة وعادية إلى حد ما وهي مرتبطة ارتباطا وثيقا بالأعراف الإجتماعية المتبناة في المجتمع الذي يعشن فيه، وبالتالي فالطالبات يؤمن بها ويتقبلنها بصرف النظر عن دقتها وصدقها.

ـ المكون الانفعالي: بينت هذه الدراسة توفر اتجاه انفعالي ايجابي نحو مسألة العذرية إذ توفر اتجاه الطالبات على الانفعال وواكبته نظرة قيمية بمعنى توفر بعد قيمي والذي يتجلى واضحا في إجابات الطالبات التي تغلب عليها شحنة انفعالية من المشاعر والعواطف، إذ أن الطالبات أعطين قيمة بالغة لمسألة العذرية، وكن متجاوبات مع هذا الموضوع، كما أن استجاباتهن اتسمت بالرغبة في هذا الموضوع وبالاهتمام وحب الاطلاع.

ـ المكون السلوكي: يتضح من الدراسة الراهنة لمسألة العذرية أن المكون السلوكي والذي يتمثل في تبني سلوكيات وممارسات تجاه مسألة العذرية هو مكون سلوكي إيجابي، ذلك أنه يسعى لتبني سلوكيات وممارسات وتصرفات تسعى إلى المحافظة على العذرية التشريحية وذلك لتجنب تبعاتها السلبية.

فهذا التحليل الثلاثي الأبعاد سمح لنا بتحديد محتوى التصورات الاجتماعية للعذرية عند الطالبة الجامعية، والذي سمح لنا بتشكيل شبكة من المعاني الخاصة بالعذرية « Un réseau de Significations» وهي:

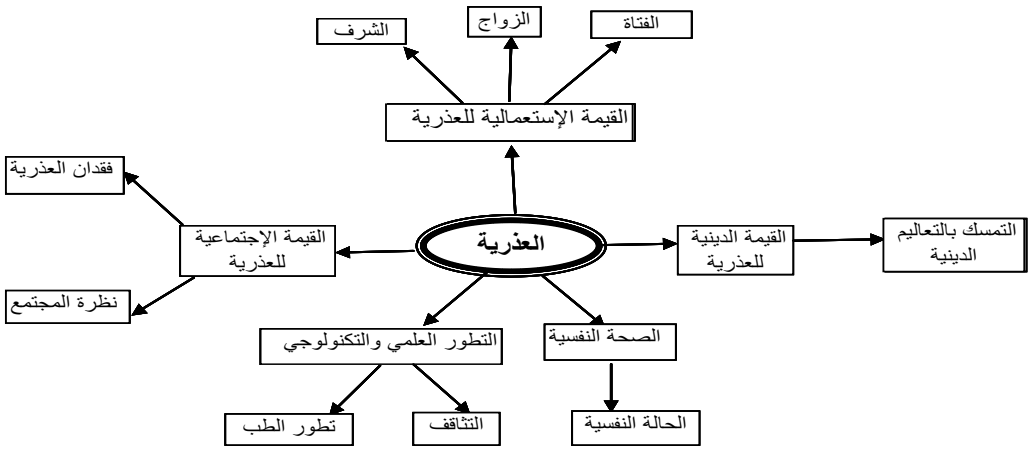


شكل رقم (1): يمثل شبكة المعاني الخاصة بالتصور الاجتماعي للعذرية المتحصل عليها عبر طريقة ألسست

من الشكل رقم (1) يتبين أن شبكة المعاني الخاصة بالتصور الاجتماعي للعذرية والتي تضم مختلف المعاني والمدلولات الخاصة بهذه المسألة هي ثرية وتشتمل على العديد من الجوانب، حيث تباينت ما بين الجوانب الإجتماعية والإستعمالية، والدينية، والنفسية، وأخيرا العلمية والتكنولوجية.

2-1- نتائج تقنية الاستقراء عن طريق السيناريو المبهم (ISA) :

حسب النتائج المستخلصة في دراستي من هذه التقنية فلقد تبين أن النواة المركزية تتكون من ثلاثة 3 عناصر مركزية تتمثل في الزواج والشرف والتمسك بالتعاليم الدينية، ومن ملاحظة العناصر المشكلة للنواة المركزية للتصور تبين وحسب نظرية النواة المركزية لأبريك أن البعد المعياري هو الغالب في هذه النواة، ذلك أنني ألاحظ تأثيرا كبيرا وكليا للأبعاد الإجتماعية العاطفية على النواة المركزية الخاصة بتصور العذرية، حيث ارتبطت في دراستي الراهنة بنجاعة الأعراف الإجتماعية والمبادئ الدينية، وبالتالي تجلى البعد العاطفي الاجتماعي واضحا، أما عن النظام المحيطي فاحتوى على ستة 6 عناصر محيطية تمثلت في الفتاة وفقدان العذرية ونظرة المجتمع والتثاقف وتطور الطب والحالة النفسية. ويمكن توضيح هذا التنظيم في ما يلي:

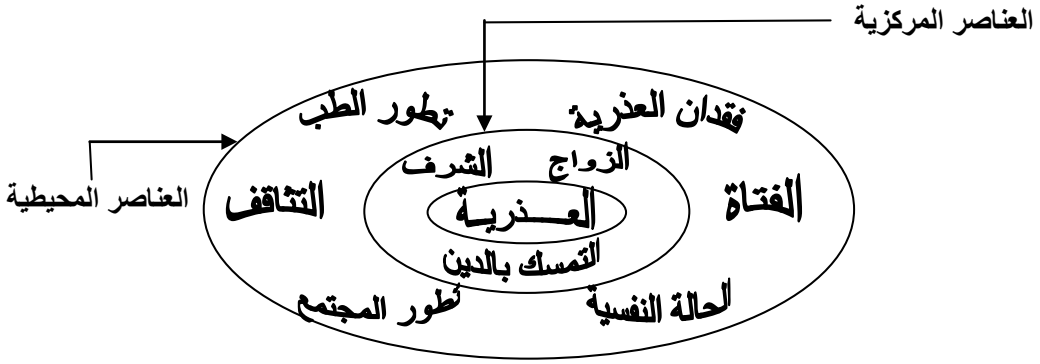


شكل رقم (2): يبين نتائج تقنية (ISA) حول التصورات الاجتماعية للطالبة الجامعية حول العذرية

من الشكل رقم (2) تتبين نتائج تقنية الاستقراء عن طريق السيناريو المبهم، حيث أن النواة المركزية للتصور الاجتماعي للعذرية عند الطالبة الجامعية تشكل من ثلاثة 3 عناصر مركزية تمثلت في الزواج والشرف والتمسك بالتعاليم الدينية أما النظام المحيطي فاحتوى على ستة 6 عناصر محيطية تمثلت في الفتاة وفقدان العذرية ونظرة المجتمع

والتثاقف وتطور الطب والحالة النفسية.

2ـ مناقشة نتائج الدراسة على ضوء فروضها:

الفرضية الأولى: «تحرص الطالبة الجامعية على عذريتها لما لها من قيمة إستعمالية».

1ـ الدراسة الإحصائية للبيانات :

من الشواهد الكمية التي تحصلت عليها خلال دراستي الميدانية والتي عكست ما تقره الفرضية الأولى، حيث وجدت بالفعل أن الطالبة الجامعية تحرص على عذريتها لما لها من قيمة إستعمالية، وذلك نتيجة التحصل على نسب مئوية مرتفعة تعكسها حيث بلغت نسبة الزواج (15%)، أما نسبة الشرف فبلغت قيمتها(13%) أما عن الفتاة بلغت نسبة (11%)، وبالتالي فالقيمة الإستعمالية للعذرية عبر عنها في عمومها بنسبة (39%) من المجموع العام للإجابات، وهي نسبة مرتفعة مقارنة بباقي المدلولات التي تعكسها العذرية.

2ـ التحليل النفسي الاجتماعي:

أكدت النتائج الميدانية صحة الفرضية الأولى حيث وجدت بالفعل أن الطالبة الجامعية تحرص على عذريتها لما لها من قيمة إستعمالية، ويمكن تفسير ذلك من خلال النقاط التالية:

- تحظى عذرية الفتاة في المجتمع الجزائري بأهمية كبيرة، إذ تعد شرطا هاما من شروط الزواج لما تخلفه من آثار سواء على الفتاة والعائلة أو المجتمع.
- إن المجتمع الجزائري ذو الثقافة العربية الإسلامية يعتبر العذرية شيئا مقدسا، حيث تلعب الفتاة دورا بالغ الأهمية في عائلتها، إذ يفترض بها أن تحمل شرف العائلة وكذا فخرها، وبما أن من أهم المميزات التي تميز جسد المرأة عن غيره من الأجساد مسألة العذرية، لذلك فإن مفهوم الشرف في مجتمعنا ارتبط بجسد المرأة وبسلوكها وبالتالي يعتبر التعبير عن العذرية تعبيرا عن المعتقدات والقيم الإجتماعية.
- إن القيمة المقدمة للعذرية في المجتمع الجزائري، توجه كل الجهود نحو حماية هذه العذرية عن طريق مراقبة سلوكيات النساء، لذلك فإن وجود رمز

العذرية المادي والمحسوس والمتمثل في غشاء البكارة ساهم في تسهيل هذه المراقبة لضمان عفافهن ولأن هذه البكارة في مجتمعنا تميز ترقي هؤلاء الفتيات إلى الطهارة النموذجية وإلى التربية الصالحة التي قوامها النماذج التربوية المصرح بها عن طريق قوانين العرف الاجتماعي.

- إن القيمة الإستعمالية للعذرية تظهر خصوصا في «سوق الزواج» هذا المفهوم الذي اقترحه بورديو، وهو ينطلق من فكرة مؤداها أنه كلما كانت الفتاة صغيرة وعذراء أي لم يسبق لها الزواج، كلما كانت قيمتها أكثر والمتمثلة في فرص الزواج والمهر، لذلك فالعذرية هي بمثابة قيمة رمزية تجارية يحرص عليها الآباء ككنز معرض للضياع في أي وقت.

- إن المجتمع الجزائري يحافظ على القوة الرمزية وعلى إعادة إنتاجها مثلما تنتج القوة الاقتصادية، هذا الإنتاج المتمثل في تكوين رأس المال الرمزي والاجتماعي والذي يتمثل في الشرف وكما تقول السعداوي من أن العذرية والشرف مفهومان متلازمان، وبالتالي فمجتمعنا يضع النساء بذلك في مرتبة الأشياء التي تؤدي إلى تبادل، لأنها تمتلك خاصية هذا التبادل وهي العذرية كشيء محسوس، وبالتالي إنتاج رجال فعالين دائما لأنهم لا يملكون دليل إدانة شرفهم ونساء سلبيات معرضات للإقصاء من المجتمع عند ارتكابهن لأي خطأ، ولأن المجتمع كما تقول المرنيسي لن يضيع وقته في البحث عن أساليب تصم الرجل.

- إن الفتيات في العائلة الجزائرية يعتبرن كأدوات رمزية، إذ بكونهن منذورات للتبادل، فإنهن يختزلن إلى منزلة أدوات لإنتاج أو إعادة إنتاج رأس المال الرمزي والاجتماعي المتمثل في الشرف الذي يسعى أفراد العائلة نساء ورجالا لاكتسابه، وبالتالي تتجلى القيمة التبادلية ومن ثم الإستعمالية للعذرية بوضوح، حيث تقول كوشار في هذا الصدد: « أن الفتاة التي تحافظ على الرداء البكاريLe voile hyménal ، هي فتاة ثمينة، ذلك أن قيمتها التبادلية وبالتالي الإستعمالية مرتفعة مقارنة بالفتاة الغير عذراء، وبذلك تصبح للبكارة قيمة مثالية ورمزية تستثمرها الفتاة في رصيدها الخاص». (Couchard, 2005, p.305)

- إن القيمة الإستعمالية للعذرية تجعل منها شرطا أساسيا يمكن الفتاة

من دخول مؤسسة الزواج، لأن الفتاة التي تحمل العذرية هي فتاة تمتلك الشرف، والذي يرتبط في مجتمعنا بنقاء الأنثى وخلو سيرتها من أي علاقة مشتبه فيها، وبالتالي قدرة الفتاة على صيانة عرضها وعرض والديها، ومن ثم حظوتها بمقام محترم داخل عائلتها أو مع الزوج وأسرته، ومنه المجتمع بأسره.

- إن مكانة الأسرة الجزائرية تعتمد إلى حد كبير على شرفها (عرضها)، الذي يتحدد في الغالب من خلال احترام بناتها اللاتي يمكن أن ينزلن بها ضررا يتعذر إصلاحه عبر سوء استخدام نشاطهن الجنسي، فمسؤولية الحفاظ على الشرف مقدر على المرأة حملها بغض النظر عما إذا كانت تمتلك رصيدا كافيا عن قضايا الجنس، هذا لا يعني كبح وضبط نشاطها ومعرفتها الجنسية، إنما يتوجب تطويرها بما يتلاءم مع ثقافتنا وقيمنا.

الفرضية الثانية : « يحمل المجتمع مسؤولية فقدان العذرية للفتاة وحدها .»

1ـ الدراسة الإحصائية للبيانات :

من الشواهد الكمية التي تحصلت عليها خلال دراستي الميدانية والتي عكست لي ما تقره الفرضية الثانية، حيث وجدت بالفعل أن المجتمع يحمل مسؤولية فقدان العذرية للفتاة وحدها وذلك نتيجة التحصل على نسب مئوية مرتفعة تعكسها حيث بلغت نسبة الصنف المفرداتي فقدان العذرية (19%)، أما نسبة نظرة المجتمع فبلغت قيمتها (11%)، ولذلك فلقد بلغت النسبة الإجمالية (30%) من المجموع العام للإجابات.

2ـ التحليل النفسي الاجتماعي:

أكدت النتائج الميدانية صحة الفرضية الثانية حيث وجدت بالفعل بأنه المجتمع يحمل مسؤولية فقدان العذرية للفتاة وحدها وهذا انطلاقا من تحليل ألسست، وهذا طبعا على مستوى تصورات الطالبات، ويمكن تفسير ذلك من خلال النقاط التالية:

- يمكن تفسير المسؤولية الملقاة على عاتق الفتاة في حالة فقدانها العذرية قبل الزواج نظرا لأن المجتمع الجزائري يعتمد النظام البطريركي الذي عرفه منذ دهور موغلة في القدم، حيث شكل نظاما أخلاقيا أضفى الشرعية على سلطة

الذكر بعد تمكنه من ضبط حركية جسد المرأة، وتقنين فعلها الجنسي، حيث فرض هذا النظام قيودا وعمليات صارمة تقلل من طبيعة المرأة الجنسية، ومن ذلك ابتكار أساليب تقليدية رادعة تسعى لحماية العذرية (كالتصفيح مثلا) وتجنب فقدانها، وما يلحقه هذا الحدث من أضرار.

- إن هذا النظام الذي يعتمد عليه جعل الفرد الذكر ينمو في مجتمعنا قضيبيا، ينزع في شخصيته إلى حب البروز والسيطرة وامتلاك المرأة وإذلال من هم أضعف منه، حيث تتجسد هذه الشخصية القضيبية المصنوعة طبعا من طرف المجتمع في أشكال ونسب مختلفة من السلطة يجد صاحبها الرجل لذته في إبراز أناه والدفاع عن سمعته.

- تعتبر عذرية الفتاة قبل دخولها مؤسسة الزواج تمظهرا لهاجس ذكوري محض، ذلك أن هذه العذرية كما أقر بورديو تعتبر ك معيار صنمي للسمعة الذكورية، وهذا ما يبرر التغطرس الذكوري للإخوة والآباء في الحفاظ على هذا المعيار.

- إن وضع اللوم على الفتاة في حالة فقدانها العذرية وتحميلها مسؤولية هذا الحدث برغم أن الذكر يلعب دورا جوهريا في هذا الفقدان، فمثل حالة الحمل، يتطلب الجنسين معا، هو راجع إذن لمختلف الأنظمة الذكورية التي رسخت منذ أمد بعيد في ذهنية أفراد مجتمعنا الجزائري رجالا ونساء والتي نصت دوما على إلقاء اللوم على جنس الأنثى، وبالتالي فإن اللاتكافؤ الجنسي يعد راسما لحدود الممارسة الجنسية بالنسبة للفتاة.

- إن الفتاة في مجتمعنا هي انعكاس للمضمون الثقافي السائد من عادات وتقاليد وأعراف اجتماعية تعمل كلها على تحديد المباحات والمحرمات في نطاق إجتماعي وليس ديني إلى حد ما، بالإضافة إلى إيديولوجيات المجتمع المحافظ الذي ينتج ميكانيزمات الضبط ضدها، حيث برغم السماح لها بالدراسة والخروج للعمل...إلخ، إلا أن مسألة العذرية وأهميتها في مجتمعنا تؤدي إلى انقلاب جد خطير، وفي هذا الصدد تقول كوشار: « أنه بالنسبة لكثير من الرجال فإن حماية بكارة النساء التي تعنيهم تعطي للفتاة قيمة كبيرة ومهمة تساهم في تحقيق النرجسية الذكورية خصوصا في الثقافات الإسلامية». (Couchard, 2005, p.300)

- يمكن كذلك تفسير المسؤولية الممنوحة للفتاة في حالة فقدانها العذرية واعتبارها الملامة والمذنبة الوحيدة بالاعتماد على مقاربة النوع الاجتماعي أو بما يسمى ب «المقاربة الجندرية»، والتي تعتبر كمرجعية أساسية في تفسير الهيمنة الذكورية الممارسة ضد الفتاة والتي عمل المجتمع على تأسيسها وترسيخها. وقياسا بمجتمعنا فإن مقاربة النوع الاجتماعي والتي حددتها الخلفيات التاريخية والثقافية والإجتماعية، جعلت من الفتاة إنتاجا للمجتمع الذي عمل منذ أمد بعيد على توطين التراتبية عن طريق التصنيف المجتمعي الذي اعتمد عليه والذي هدف إلى إثبات أنثوية الفتاة مع ارتباطه بالتكوين الاجتماعي-الثقافي من عادات وتقاليد وأعراف حددت للفتاة مختلف الأدوار والممارسات والحدود التي يتوجب عليها احترامها وإتباعها.

- إن عذرية الفتاة في مجتمعنا تعد بمثابة وسيط تتأسس به الأنثوية وبالتالي فإن عذرية المرأة تضمن لها «الهوية الأنثوية» التي تحقق لها المكانة المرموقة داخل الجماعة التي تنتمي إليها من عائلتها وزوجها وعائلة الزوج ومنه المجتمع، خصوصا أنها لا تستطيع إلا أن تسلك كما هو متوقع منها أنثى وإن ولدت إنسانا فإن مجتمعنا والتنشئة الاجتماعية التي تتبناها العائلات الجزائرية ستعلمها كيف ستصبح أنثى وبالتالي تصبح أدوارها وتصرفاتها مقيدة بما رسخه المجتمع وعائلتها فيها.

- إن لعذرية الفتاة قبل الزواج في مجتمعنا أهمية دلالية، ولذلك فإن فقدانها قبل الدخول في مؤسسة الزواج ينتج عنه وصم الفتاة بأبخس النعوت والألقاب، وبالتالي فالملاحظ أنه رغم اتساع دائرة الأخلاق الإجتماعية إلا أن نطاقها يضيق في المجتمعات الذكورية ليحاصر المرأة فقط.

- إن إلحاق الضرر بالأنثى فاقدة العذرية سواء كان ضررا ماديا بالاعتماد على أساليب الجزاء السلبي سواء كانت مادية كسوء المعاملة الجسدية أو معنوية كالوصم، هو ناتج إذن عن قانون العرض الذي يتبناه العرف الاجتماعي والمشرعن والمتأصل في أعماق وعي شرائح مجتمعنا.

3ـ مناقشة نتائج الدراسة على ضوء الدراسات السابقة :

توصلت الدراسة الراهنة إلى جملة من النتائج العامة والخاصة، وقد تجسدت النتائج

في علاقتها مع ما سبق التوصل إليه في الدراسات السابقة إلى ما يلي:

✓ لقد توصلت الدراسة الراهنة إلى أن تصورات الطالبات للعذرية هي تصورات متأثرة إلى حد كبير بالمعارف العامة المتنقلة عبر تراكم المعارف والخبرات التي يحتويها المضمون الثقافي للمجتمع الذي يعشن فيه، إذ رغم تغير وضعية الفتاة في المجتمع الجزائري من البنية التقليدية إلى البنية المعاصرة إلا أن تطوراتها كانت في سياق نفسي-إجتماعي متلائم مع ما رسخه المجتمع فيها، وهذا لدليل على أن التطور الذي عرفته الطالبات كان شكليا وليس جوهريا، وهذا ما اتفق مع ما توصلت له "راضية طوالبي" في دراستها عن اتجاهات وتصورات الزواج عند الفتاة الشابة الجزائرية حيث وجدت أن اتجاهات وتصورات الزواج هي ذو تفرع ثنائي يتجلى بين القيم التقليدية والقيم الحديثة ولكن هذا التفرع شكلي وليس جوهري.

✓ إن الدراسة الراهنة توصلت إلى أن محتوى تصورات الطالبات للعذرية تنوع في معلوماته ما بين معلومات اجتماعية مرتبطة بالمضمون الثقافي لمجتمعنا ومعلومات طبية وأخرى دينية تحث على ضرورة التمسك بتعاليم ديننا، هذه النقطة الأخيرة التي استخلصتها "سعيدالي سيتي شاديا" في دراستها حيث وجدت توفر عوامل وقيم دينية مستقرة على مستوى النواة المركزية للتصورات الإجتماعية للعذرية مما أدى إلى عدم وجود تغيرات معتبرة، حيث استخلصت أنه لن تحدث تغيرات في التصورات الإجتماعية ما لم يتغير الدين، رغم توفر ثقافات متضادة تتعارض في مضمونها وسلوكياتها، وهذا ما توافق جزئيا مع دراستي حيث وجدت أن عنصر الدين يعد من العناصر المستقرة أي أنه عنصر مركزي للتصورات الإجتماعية للعذرية عند الطالبة الجامعية.

✓ إن دراستي الراهنة توصلت إلى كون العذرية تتمتع بأهمية بالغة على مستوى تصورات الطالبات إذ حظيت بأهمية كبيرة سواء على المستوى المعرفي أو السلوكي، وهذه نتيجة توصلت لها دراسة "ساو أبدولاي" التي كان موضوعها يدور حول العذرية في المخيل الشعبي للموريطانيين، حيث وجد أن العذرية تلعب دورا بارزا على مستوى المعتقدات والإيديولوجيات التي يتبناها الموريطانيون والتي تعمل كموجه سواء لأحكامهم أو لسلوكياتهم إزاء مسألة العذرية التي تعتبر رمزا للشرف

في كلا المجتمعين الجزائري والموريطاني.

✓ أظهرت الدراسة الراهنة أن التصورات الإجتماعية للعذرية تتوفر على جوانب تقليدية وجوانب أخرى علمية حديثة، وفيما يتعلق بالتصورات التقليدية فإنها تتفق مع ما توصلت له دراسة "ديليك سيند أوغلو" من أن الطب وبالأخص الأطباء يساهمون في إعادة التوكيد الإجتماعية على العذرية وإعادة إنتاجها خصوصا في المجتمعات البطريركية التي تعتبر العذرية على قدر كبير من الأهمية، أما فيما يتعلق بالتصورات الحديثة فإنها تتجلى بالأخص في استدخال فكرة جراحة العذرية والتي تعتبر نموذجا نمطيا للتحديث.

4ـ موقع الدراسة الراهنة من النظرية النفسيةـالإجتماعية :

تناولت الدراسة الراهنة موضوع العذرية الذي تباينت حوله الآراء كميا وكيفيا، كما ظهرت العديد من المقاربات التي اهتمت بتفسيره، ولذلك فإن هذه الدراسة عالجت موضوعا حساسا وذلك وفق رؤية متعددة العوامل منهجيا وإمبريقيا، وهذا ما يبرر وقوع هذه الدراسة في حدود المجالين النفسي والاجتماعي، ويتجلى هذا واضحا من خلال المعالجة النظرية والميدانية وطبيعة التساؤلات التي انطلقت وحاولت اختبارها، اعتمادا على إستراتيجية منهجية متكاملة، مكنتني من تحديد الأهمية التي تكتسيها هذه المسألة.

إن هذا التوجه يعطي لدراستي مكانتها ضمن المحاولات الساعية إلى فهم وتشخيص واقع ظواهر اجتماعية في حياتنا في سياقات اجتماعية متباينة لها تأثيراتها البالغة على المستوى النفسيـالاجتماعي، خصوصا مع مختلف التغيرات والتطورات التي عرفتها الميادين الإجتماعية والعلمية والتكنولوجية، وبالتالي فإن هذه الفترات الانتقالية التي يجمع فيها المجتمع بين الجديد والقديم، يمر الفرد عبرها بعوالم مختلفة، لها أثرها البالغ على نفسيته وتعرضه لضغوط وصراعات نفسية متعددة، ولذلك فالهدف من هذه المحاولات هو إيجاد تفسيرات تمكننا من الوصول إلى تحديد الانعكاسات والتبدلات التي حدثت على مستوى التصورات الإجتماعية التقليدية للعذرية.

5ـ القضايا التي أثارتها الدراسة الراهنة:

إن الجدال في هذه المسألة وانعكاساتها على حياة الفتاة أو ابتعادها في ظل الظروف الاجتماعية الحديثة والمتغيرة التي أصبحت تكسو وتجتاح المجتمعات والأوساط العربية والإسلامية وتؤثر في الذهنيات وبالتالي الممارسات والسلوكيات بدا قائما، الأمر الذي دفعني إلى طرح التساؤلات التالية والتي أعتقد أنها تشكل منطلقات لدراسات ميدانية أخرى وهذه التساؤلات تتمحور في:

- ✓ كيف يحكم المجتمع على شرف الفتاة وما مفهومه له ؟
- ✓ هل الفتاة الشريفة هي التي تحافظ على سلامة عذريتها التشريحية أم التي تحافظ على سلامة عقلها وتفكيرها وصدقها وقدرتها على الإنتاج في الحياة ؟
- ✓ هل التصورات الإجتماعية للعذرية واحدة في كامل المجتمع أم أن لكل جماعة اجتماعية تصورات خاصة بها تميزها عن باقي الجماعات ؟
- ✓ في ظل الحداثة والعصرنة التي اكتسحت الأوساط والمجتمعات العربية والتي لعبت دورا بارزا في التأثير على الذهنيات، هل مازالت العذرية تعد بمثابة وسيلة الذكور لضبط السلوك الجنسي للإناث؟
- ✓ في ظل التطورات التي حدثت في مجال الطب والتي استفادت منها الفتاة في جراحة عذريتها وبالتالي إعادة تأهيلها للزواج، هل مازال الأفراد يولون أهمية للعذرية ؟
- ✓ في معترك الحراك الثقافي الذي يتغلغل في الأوساط العربية والذي أصبح يؤثر في تصوراتهم الاجتماعية هل ستظل العذرية باسطة لقيمتها ؟
- ✓ هل هناك فروق ذات دلالات نفسية بين التصورات الإجتماعية لفتاة المدينة والتصورات الإجتماعية لفتاة الريف حول العذرية ؟
- ✓ هل هناك علاقة دالة بين الثقافات الحديثة والتصورات التقليدية للعذرية ؟

الخاتـــــمة:

اتضح من نتائج دراستي الراهنة أن العذرية تحظى بأهمية بالغة في حياة الطالبات

الجامعيات، فرغم المرحلة الانتقالية التي عرفتها وضعية الفتاة في المجتمع الجزائري من البنية التقليدية إلى البنية المعاصرة إلا أن هذه المرحلة اتسمت في عمومها بنوع من الاستقرار ومواكبة التغيرات بما تلاءم مع شخصية وكيان مجتمعنا.

فثقافتنا العربية تحرس ذاتها وتحصنها ضد الانتهاكات المحتملة من خلال تصميم وابتكار عقوبات رادعة يمكن أن تتعدى إلى القتل أو ما يسمى "بجرائم الشرف» التي تمارس في بعض البلدان العربية، قصدا منها الحيلولة دون حدوث هذه المعضلات التي تسعى للتمرد على قيمنا ومبادئنا.

إذا ومن خلال هذه الدراسة تبين لنا أن العذرية هي ظاهرة اجتماعية تنظمها العادة والعرف والتقليد، وهي ظاهرة مشرعنة وضعها قانون العرف الاجتماعي، ورغم التحديث الذي عرفته حياة المرأة في مجتمعاتنا العربية إلا أنه لم يقلص من الطبيعة الدلالية للعذرية المحملة بشحنة رمزية قوية، ذلك أن الفتاة التي تحافظ على عذريتها إلى حين دخولها مؤسسة الزواج تتوج على عرش المرأة والنسب العريق، إنها المرأة النموذجية التي تكتسب في الأخير سوى قيمة رمزية ضاربة بجذورها في أعماق الذهنية العربية التقليدية والتي تعبر عن انغماس كلي في الضمير الجمعي وذوبان الشخصية فيه.

قائمة المراجع:


1. أنجرس، موريس. (2004). منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية (تدريبات عملية). ترجمة: صحراوي، ب وآخرون. دار القصبة. الجزائر.

2. إيلكاركان، بينار. (2004). المرأة والجنسانية في المجتمعات الإسلامية. ترجمة: الإمام، م. دار المدى للثقافة والنشر. بيروت.

3. بورديو، بيير. (2001). السيطرة الذكورية. ترجمة: حسان، أ. القاهرة: دار العالم الثالث.

4. بوتفنوشت، مصطفى.(1984). العائلة الجزائرية (التطور والخصائص الحديثة) . ترجمة: دمري، أحمد. ديوان المطبوعات الجامعية. بن عكنون.

5. بن سلامة، رجاء، وآخرون. (2005). التذكير والتأنيث(الجندر). ترجمة: أبو زيد، أ. المركز الثقافي العربي، بيروت.

6. بغدادي، مولاي ملياني. (1997). حقوق المرأة في الشريعة الإسلامية. قصر الكتاب. البليدة.

7. الجسماني، عبد العلي. (2002). سيكولوجية الطفولة والمراهقة وحقائقها الأساسية. الدار العربية للعلوم. بيروت.

8. الحفني، عبد المنعم. (1992). الموسوعة النفسية الجنسية. ط1، مكتبة مذبولي. القاهرة.

9. الحداد، الطاهر. (1985). امرأتنا في الشريعة والمجتمع. ط4، الدار التونسية للنشر. تونس.

10. الحيدري، إبراهيم. (2003). النظام الأبوي و إشكالية الجنس عند العرب. ط1، دار الساقي. بيروت.

11. حمدان، حسن علي مصطفى. (د س ن). مكانة المرأة في الإسلام. شركة الشهاب. الجزائر.

12. خليفة، محمد الأباصيري. (1984). المرأة والتربية الإسلامية. ط1، مكتبة الفلاح. الكويت.

13. خروف، حيد، وقيرة، اسماعيل، وبومدين، سليمان. (2007). النسق القيمي والتصورات الإجتماعية. دار الأنيس. قسنطينة.

14. دورون، رولان وبارو، فرانسوا. (1997). موسوعة علم النفس. عويدات للنشر والتوزيع. بيروت.

15. رمسيس، فرح ناديا. (1992). حياة المرأة وصحتها. دار الجيل/سينا للنشر. القاهرة/بيروت.

16. الزاهي، فريد. (1999). الجسد والصورة والمقدس في الإسلام. إفريقيا الشرق. بيروت.

17. سليم، مريم. (2002). علم النفس النمو. دار النهضة العربية. بيروت.

18. السعداوي، نوال. (1982أ). المرأة والصراع النفسي. ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت.

19. السعداوي، نوال. (1982ب). الوجه العاري للمرأة العربية. ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت.

20. السعداوي، نوال. (1982ج). المرأة والجنس. ط5، المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت.

21. الشربيني، لطفي. (2001). موسوعة شرح المصطلحات النفسية(انجليزي-عربي). دار النهضة العربية. بيروت.

22. الصواف، منى والجبلي، قتيبة. (2001). الصحة النفسية للمرأة العربية. ط1، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع. القاهرة.

23. عبد اللطيف، ياسين. (دس ن). منع الحمل و مشاكل الجنس والزواج. (ج2)، دون بلد: مطابع دار البعث.

24. عبد الخالق، أحمد محمد. (1993). أصول الصحة النفسية. ط2، دار المعرفة الجامعية. الإسكندرية.

25. علية، محمد بشير. (1985). القاموس الإقتصادي. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت.

26. عمر، حسين. (1992). الموسوعة الإقتصادية. ط4، دار الفكر العربي. القاهرة.

27. غيث، محمد عاطف. (2004). قاموس علم الإجتماع. دار المعرفة الجامعية. الإسكندرية.

28. فرويد، سيجموند. (1985). ثلاث رسائل في نظرية الجنس. ترجمة: نجاتي، محمد عثمان. دار الشرق. بيروت.

29. القطان، أحمد. (1988). المرأة في الإسلام. ط2، مكتبة رحاب. الجزائر.

30. لوبرتون، دافيد. (2000). أنثربولوجيا الجسد والحداثة. ترجمة: صاصيلا، محمد عرب. المركزالثقافي العربي. بيروت.

31. موسى، كامل. (دس ن). البنت في الإسلام(رعاية ومسؤولية). دار الهدى. عين مليلة.

32. محمد، محمد علي. (1987). الشباب العربي والتغير الإجتماعي. دار المعرفة الجامعية. الإسكندرية.

33. المرنيسي، فاطمة. (دس ن). العابرة المكسورة الجناح (شهرزاد ترحل إلى الغرب). ت: أزرويل، فاطمة الزهراء علي. المركز الثقافي العربي. بيروت.

34. Abric, Jean Claude. (1994). Pratiques sociales et représentations. Puf Paris.

35. Ben Dridi, Ibtissem. (2004). Le tasfih en Tunisie un rituel de protection de la

virginité féminine. Préface de Michèle Cros. L'Hrmattan. Paris.

36. Benslama, fethi. (2002). La psychanalyse a l'épreuve de l'Islam. Paris. Aubier.

37. Bonardi, Christine, et Roussiau, Nicolas. (1999) .Les représentations sociales. Dunod. Paris.

38. Bouhdiba, Abdelwahab. (1975). La Sexualité en Islam. Press Universitaires de France. Paris.

39. Bloch.h, Dépret.E, Gallo.A et autres. (2002). Dictionnaire fendamental de la psychologie (L-Z). VUEF. Paris.

40. Couchard, F (2004). Le fantasme de séduction dans la culture Musulmane (Mythes et représentations sociales). 2éme ed. Presses Universitaires de France. Paris.

41. Durkheim, Emile. (1997). Sociologie et philosophie. Puf. Paris.

42. Ficher, Gustave Nicolas. (2005). Les concepts fondamentaux de la psychologie sociale. 3éme ed, Dunod. Paris.

43. Flament Claude et Rouquette Michel–Louis. (2003). Anatomie des idèes ordinaires (Comment étudier les représentations sociales). Armond Colin. Paris.

44. Herzlich, Claudine. (1972). "La représentation sociale" in Moscovici Serge. Introduction à la psychologie sociale. Larousse. Paris.

45. Jodelet, Denise. (1987). "La représentation sociale: Un domaine en expansion" in Denise Jodelet, Les représentations sociales. Puf. Paris.

46. Jodelet, Denise. (1987). "Représentation sociale: phénomène, concept et théorie" in Moscovici Serge, Psychologie sociale. 2éme ed, Puf. Paris.

47. Laplantine, François. (1987). L'anthropologie. Seghers. Paris.

48. Laffon, Robert. (1973). Vocabulaire de psychopédagogie et de psychiatrie de L'enfant. Presses Universitaires de France. Paris.

49. Moscovici, Serge (1961). La psychanalyse son image et son public. Puf. Paris.

50. Moscovici, Serge et Buschini, Fabrice. (2003). Les méthodes des sciences humaines. 1 ére ed, Puf. Paris.

51. Rouquette Michel–Louis et Rateau Patrick. (1998). Introduction à l'étude des représentations sociales. Pug. Paris.

52. Toualbi, Radia. (1984). Les attitudes et les représentations du mariage chez la jeune fille Algérienne. Entreprise Nationale du livre. Alger.

53. Walther, Weibke. (1981). Femmes en Islam. traduction: Madeline Maléfant. 2 éme ed, Editions Sindbad. Paris.

## قائمة الملاحق :

### فهرس الأشكال


| عناوين الأشكال |
| --- |
| شكل رقم (1) يبين شبكة المعاني الخاصة بالتصور الاجتماعي للعذرية المتحصل عليها عبر طريقة ألسست. |
| شكل رقم (2) يبين نتائج تقنية حول التصورات الاجتماعية للطالبة الجامعية حول العذرية. (ISA) |